

النبوءة بمحمد صلى الله عليه وسلم في "الكتاب المقدس"

د. كريمة نور عيساوي

كلية أصول الدين جامعة عبد المالك السعدي، تطوان

تاريخ النشر: 2020/ 10 /15	تاريخ القبول: 2020 /09 /03	تاريخ الاستلام: 2020 /08 /17
---------------------------	----------------------------	------------------------------

الملخص:

يُعتبر موضوع النبوءة بمحمد صلى الله عليه وسلم في "الكتاب المقدس" من بين المواضيع الأثيرة التي حظيت بحظ وافر من البحث على يد العلماء المسلمين القدامى. وكان الخوض فيه استجابة مباشرة وحتمية لظروف الجدل الديني الذي احتد، على وجه الخصوص، بين مسيحي الشرق الذين يزعمون أن "العهد القديم" (أو التناخ [1]) بشر، في إصحاحات كثيرة، بقدوم المسيح عليه السلام، وعلماء الإسلام الذين شرعوا ينازعونهم في هذا الأمر. ولا شك في أن المتأمل في هذه الكتابات سيلاحظ أن النبوءة بمحمد صلى الله عليه وسلم تكاد تشمل أغلب أسفار العهد القديم، وأجزاء من العهد الجديد. الأمر الذي يجعل من الإحاطة بها في هذه المقالة عملاً مستعصياً. لهذا سيتم الاكتفاء بنماذج محدودة،

الكلمات المفتاحية: النبوءة، النبي محمد ص، العهد القديم، العهد الجديد

يُعتبر موضوع النبوة بمحمد صلى الله عليه وسلم في "الكتاب المقدس" من بين المواضيع الأثرية التي حظيت بحظ وافر من البحث على يد العلماء المسلمين القدامى. وكان الخوض فيه استجابة مباشرة وحتمية لظروف الجدل الديني الذي احتد، على وجه الخصوص، بين مسيحي الشرق الذين يزعمون أن "العهد القديم" (أو التناخ ٦٦٦) بشر، في إصحاحات كثيرة، بقدوم المسيح عليه السلام، وعلماء الإسلام الذين شرعوا ينازعونهم في هذا الأمر. ولا شك في أن المتأمل في هذه الكتابات سيلاحظ أن النبوة بمحمد صلى الله عليه وسلم تكاد تشمل أغلب أسفار العهد القديم، وأجزاء من العهد الجديد. الأمر الذي يجعل من الإحاطة بها في هذه المقالة عملاً مستعصياً. لهذا سيتم الاكتفاء بنماذج محدودة، أملاً في أن تُفرد لها في مستقبل الأيام كتاباً مستقلاً.

ظهور الإسلام في شبه الجزيرة العربية

نسج الإسلام بمجرد ظهوره في شبه الجزيرة العربية إبان القرن السادس الميلادي علاقات متشابكة مع الديانتين اليهودية والمسيحية تراوحت ما بين المد والجزر. ولم يكن أمام مسلمي هذه الحقبة من تاريخ الإسلام من خيار آخر للذود عن صحة رسالتهم الجديدة، والدفاع عنها، على الأقل، في وجه خصومهم من "أهل الكتاب" الذين لم يعترفوا بهذا الدين الجديد، سوى الانخراط مبكراً في الجدل الدائري بين أتباع الديانات الثلاث، والبدء في مقارعة الحجة بالحجة. وهو موقف لا يتعارض مع ما ورد في الآيات الكريمة من دعوة صريحة إلى مجادلة الآخر بالتي هي أحسن. قال تعالى: «ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ»¹، وقال جل وعلا: «وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ»².

وإذا كان من واقع حقيقي يجب استحضاره في هذا السياق لاستخلاص النتائج منه فهو الوضعية التاريخية لشبه الجزيرة العربية التي لم تكن، في أي وقت من الأوقات، بمنأى عن حضور معين للدين سواء تجسد هذا الحضور في هذه الديانة أو تلك، ومن ثم وجد له موطن قدم فيها أو

¹ سورة النحل، الآية 125

² سورة العنكبوت، الآية 46

اتخذ شكل طوائف دينية مختلفة انتشرت في أطراف الصحراء أو كان هذا الحضور ثمرة تلاقي بينها وبين محيطها الخارجي من خلال جسور التجارة والحج والجوار¹.

لم تكن إذاً شبه الجزيرة العربية أرضاً خلاء. ومثل هذا الواقع الذي يزخر بحضور جلي للديانتين اليهودية والمسيحية كان مدعاة لتأرجح ممثلي هاتين الديانتين ما بين موقفين متباينين: التأكيد على صحة وصدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم أو بيان فسادها تمهيداً للتشكيك فيها.

موقف التأكيد على صحة وصدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم

تندرج ضمن هذا الموقف شواهد عدة لقساوسة وأخبار أدركوا أن محمد صلى الله عليه وسلم يحمل خاتم النبوة، وذلك قبل سنوات عدة من صدعه للحق، وإعلانه الدعوة إلى الإسلام. ففي إحدى رحلات النبي محمد صلى الله عليه وسلم قبل البعثة إلى الشام رفقة عمه ووصيه أبي طالب، تذكر الروايات مقابلته هناك للراهب بحيرى الذي أدرك أنه هو النبي المرتقب، ناصحاً عشيرته بضرورة الحرص على حمايته من الراغبين في إيذائه:

«عن أبي بكر بن أبي موسى قال خرج أبو طالب إلى الشام، وخرج معه رسول الله صلى الله عليه وسلم في أشياخ من قريش. فلما أشرفوا على الراهب، وكانوا قبل ذلك يَمرون به، فلا يخرج إليهم ولا يلتفت. قال: فهم يحلون رحالهم، فخرج إليهم. فجعل يتخللهم حتى جاء، فأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: هذا سيد العالمين، هذا رسول رب العالمين، هذا يبعثه الله رحمة للعالمين، فقال له أشياخ من قريش: ما علمك به؟ قال: إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلا خرَّ ساجداً، ولا يسجدون إلا لني، وإني أعرف خاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة.

ثم رجع فصنع لهم طعاماً، فلما أتاهاهم به، وكان هو في رعيه للإبل قال: أرسلوا إليهم. فأقبل وعليه غمامة تظله، فلما دنا من القوم، إذا هم قد سبقوه إلى فيء الشجرة، فلما جلس، مال فيء الشجرة عليه، فقال: انظروا إلى فيء الشجرة مال عليه. فبينما هو قائم عليهم، وهو يناشدهم أن لا يذهبوا به إلى الروم فإن الروم إذا رأوه عرفوه بالصفة فقتلوه، فالتفت فإذا هو بسبعة نفر، قد أقبلوا من الروم، فاستقبلهم، فقال: ما جاء بكم؟ قالوا: أخبرنا أن هذا النبي خارج في هذا الشهر،

¹ جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت، مج 6، 1993

فلم يبق طريق إلا بعث إليه بأناس، وإنا د أخبرنا خبره، فبُعِثنا إلى طريقك هذه، فقال: هل خلفكم أحد هو خير منكم؟

قالوا: لا. قال: أفرايتم أمراً أراد الله أن يقضيه هل يستطيع أحد من الناس رده؟ قالوا: لا. قال: فبايعوه وأقاموا معه. ثم قال: أنشدكم الله أيكم وليه؟ قال أبو طالب: أنا. فلم يزل يناشده حتى رده أبو طالب فزوده الراهب من الكعك»¹.

وفي خروج النبي صلى الله عليه وسلم للطائف طلباً للنصرة واجه هناك أبشع أساليب الإذابة بحيث لم يكن له من مخرج سوى الركون إلى بستان، والاستراحة به، بدعوة من صاحبه زيد بن حارثة. وتذكر الرواية بعد ذلك ما يلي: «وكان صاحب البستان ابني ربيعة فتحرّكت له رحمهما، فبعثا مع خادم لهما قطعاً في طبق من عنب، وهذا الخادم يدعى عداساً، فقرب العنب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «باسم الله، اللهم بارك لنا فيما رزقنا وارزقنا خيراً منه». فسمع عداس هذه العبارة، وما سمع بها قط في الطائف؛ لأن الطائف كانت مركز اللات الذي هو الصنم الكبير في الجزيرة، كما أن مركز هبل كان في مكة. فقال عداس: والله! إن هذا لكلام ما يقوله أهل هذه البلاد، فقال له رسول الله: ومن أي البلاد أنت يا عداس؟ وما دينك؟ قال: أنا نصراني من نينوى -وهي في شمال العراق- فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: من بلد العبد الصالح يونس بن متى؟ قال له عداس: وما يدريك ما يونس بن متى؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ذاك أخي كان نبياً وأنا نبي، فأكب عداس على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل رأسه ويديه وقدميه»².

ويُروى بأن ورقة بن نوفل كان عارفاً بحقيقة تخصيص الوحي لمحمد صلى الله عليه وسلم عندما حكّت له خديجة رضي الله عنها عن ذلك: «وانصرفت راجعا إلى أهلي، حتى أتيت خديجة فجلست إلى فخذها مضيفا إليها، فقالت: يا أبا القاسم أين كنت؟ فو الله لقد بعثت رسلي في طلبك حتى بلغوا مكة، ورجعوا إليّ. ثم حدثتها بالذي رأيت. فقالت: أبشريا ابن العم، واثبت، فو الذي نفس خديجة بيده، إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة. ثم قامت فجمعت عليها ثيابها، ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل فأخبرته بما أخبرها به رسول الله. فقال ورقة: قدوس، قدوس، والذي

¹ أبو الفرج زهري النجار: الوفا بأحوال المصطفى، تحقيق محمد زهري النجار، المؤسسة السعيدية، الرياض، د.ت، ص 221-222

² ابن تيمية الحراني: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، دار ابن حزم، بيروت، 2008 ص 97

نفس ورقة بيده؛ لأن كنت صدقتني يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى، وإنه لنبي هذه الأمة، وقولي له: فليثبت. فرجعت خديجة إلى رسول الله فأخبرته بقول ورقة، فلما قضى رسول الله جواره وانصرف، صنع كما كان يصنع، بدأ بالكعبة فطاف بها، فلقيه ورقة بن نوفل وهو يطوف بالكعبة. فقال: يا ابن أخي أخبرني بما رأيت وسمعت، فأخبره. فقال له ورقة: والذي نفسي بيده إنك لنبي هذه الأمة، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى، ولتكنز به، ولتؤذنه، ولتخرجنه، ولتقاتلنه، ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرن الله نصرًا يعلمه. ثم أدنى رأسه منه فقبل يافوخه، ثم انصرف رسول الله إلى منزله¹.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن غلامًا يهوديًا كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فمرض. فأتاه رسول الله يعوده، فوجد أباه عند رأسه يقرأ التوراة، فقال له رسول الله: يا يهودي، أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى، هل تجد في التوراة صفتي ومخرجي؟ فقال: لا قال الفتى: بلى، والله يا رسول الله، إنا نجد في التوراة نعتك ومخرجك، وإني أشهد أن لا إله إلا الله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أقيموا من عند رأسه، ولوا أخاكم².

بيان فساد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، والتشكيك فيها

في مقابل بحيرى والعداس وورقة بن نوفل وغيرهم نشأ تيار آخر من المسيحيين واليهود، على وجه الخصوص، الذين أعلنوا حربًا لا هوادة فيها على الإسلام، منكرين نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم، ومتهمين إياه بأقذع الصفات، كما لم يتورعوا عن محاولة إحقاقه.

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: "أَقْبَلْتُ يَهُودَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، إِنَّا نَسْأَلُكَ عَنْ خَمْسَةِ أَشْيَاءَ، فَإِنْ أَنْبَأْتَنَا مِنْ عَرَفْنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ وَاتَّبَعْنَاكَ، فَأَخَذَ عَلَيْهِمْ مَا أَخَذَ إِسْرَائِيلُ عَلَى بَنِيهِ إِذْ قَالُوا: اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ.. قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَاتُوا»، قَالُوا: أَخْبِرْنَا عَنْ عَلَامَةِ النَّبِيِّ. قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَنَامُ عَيْنَاهُ وَلَا يَنَامُ قَلْبُهُ»، قَالُوا: أَخْبِرْنَا كَيْفَ تُؤَنِّثُ الْمَرْأَةَ وَكَيْفَ تُذَكِّرُ؟ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَلْتَقِي الْمَاءَانِ، فَإِذَا عَلَا مَاءُ الرَّجُلِ مَاءُ الْمَرْأَةِ أَذْكَرَتْ، وَإِذَا عَلَا مَاءُ الْمَرْأَةِ أَنْثَتْ»، قَالُوا: أَخْبِرْنَا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ؟

¹ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير: السيرة النبوية، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، 1976، ص 404-403

² ابن تيمية الحراني: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ص 689-690

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَانَ يَشْتَكِي عِرْقَ النَّسَا فَلَمْ يَجِدْ شَيْئًا يُلَاقِيهِ إِلَّا الْبَنَ كَذَا وَكَذَا - قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ: قَالَ أَبِي: قَالَ بَعْضُهُمْ: يَعْنِي الْإِبِلَ - فَحَرَّمَ لِحُومَهُ»، قَالُوا: صَدَقْتَ، قَالُوا: أَخْبَرَنَا مَا هَذَا الرَّعْدُ؟ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَلَكٌ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ تَعَالَى مُوَكَّلٌ بِالسَّحَابِ بِيَدِهِ أَوْ فِي يَدِهِ مَخْرَاقٌ مِنْ نَارٍ، يَزْجُرُ بِهِ السَّحَابَ يَسُوقُهُ حَيْثُ أَمَرَ اللَّهُ»، قَالُوا: فَمَا هَذَا الصَّوْتُ الَّذِي يُسْمَعُ؟ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صَوْتُهُ»، قَالُوا: صَدَقْتَ، إِنَّمَا بَقِيَتْ وَاحِدَةٌ، وَهِيَ الَّتِي نُبَايِعُكَ إِنَّ أَخْبَرْتَنَا بِهَا؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ نَبِيِّ إِلَّا لَهُ مَلَكٌ يَأْتِيهِ بِالْخَبَرِ، فَأَخْبَرْنَا مَنْ صَاحِبُكَ؟ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ»، قَالُوا: جِبْرِيلُ؟! ذَلِكَ الَّذِي يَنْزِلُ بِالْحَرْبِ وَالْقِتَالِ وَالْعَذَابِ عَدُونًا! لَوْ قُلْتَ: مِيكَائِيلَ الَّذِي يَنْزِلُ بِالرَّحْمَةِ وَالنَّبَاتِ وَالْقَطْرِ لَكَانَ! فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ...} (سورة البقرة، الآية 97)»¹.

غير أن هذا الموقف الأخير (أي بيان فساد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، والتشكيك فيها) الذي كان في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، والإسلام لا يزال في أولى خطواته نحو الانتشار، ما لبث أن تقوى بعد انسحاب بيزنطة من الشام ومصر والعراق، ليُصبح على يد بعض مسيحيي الشرق من ثوابت الجدل المسيحي الإسلامي. تقول المستشرقة انجيليكي غريغوري زياكا: «فعن طريق عقيدتهم في الوحي المسيحي المطلقة واجهوا الدين الإسلامي بروح انحيازية وبلا موضوعية، فتعرفوا على الإسلام لا ليفهموه؛ بل للبحث عن ثغراته لمحاربته، ودحض تعاليمه، وهذا ليس لإيمان البيزنطيين بأن المسيحية هي الدين الوحيد المنزل فحسب؛ بل أيضا للخطر الذي أحس به البيزنطيون من الفتوحات الإسلامية ضد بيزنطة..»².

يتبوأ يوحنا الدمشقي أو يوحنا بن منصور بن سرجون (680-755م) مكانة كبيرة في تاريخ الجدل الديني المسيحي الإسلامي. على غرار والده الذي خدم خلفاء بني أمية، كان مستشارا ماليا أو ناظرا لخزانة الخلافة الإسلامية، أدى المهمة نفسها على امتداد عشرين سنة قبل أن يعتزل نهائيا الحياة المهنية، متفرغا للعبادة في "دير القديس سابا" بفلسطين، ليصبح قسيسا حوالي 735م³. تلقى

¹ الإمام أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي: السنن الكبرى، تحقيق حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2014، رقم الحديث 9024، مج 8

² أبو نعيم الأصفهاني: دلائل النبوة، تحقيق محمد رولس قلعة جي وعبد البر عباس، دار النفائس، بيروت، 1986، ص 108-109

³ دانييل ساهاس: الشخصية العربية في الجدل المسيحي مع الإسلام، ترجمة جهاد الترك، مجلة الاجتهاد، ع 28، صيف 1995، بيروت، ص 117

تعليمًا مزدوجًا تمت فيه المزاوجة ما بين الثقافة العربية الإسلامية والثقافة اليونانية. عاش في وسط اجتماعي سمته الأساسية هي التعدد اللغوي والثقافي. أما القضايا التي أثارها يوحنا الدمشقي في مجادلته للإسلام فتتمثل في وصف المسلمين بالهرطقة أو السارازين¹ أي المطرودين، وتصوير الرسول عليه السلام بأنه من أتباع البدع المسيحية من أريوسية² ونسطورية³ التين اشتهرتا بعدم إيمانهما بالطبيعة اللاهوتية للمسيح⁴، والطعن في نبوته لأنه لم تسبقه بشارة توحى بمبعثه من لدن سابقه كما هو الشأن بالنسبة لنبي الله عيسى عليه السلام. ويذهب يوحنا الدمشقي إلى حد اتهام النبي محمد صلى الله عليه وسلم أنه نبي مزيف نظرا لتلقيه الكتاب وهو نائم (الوحي). ومن ثم لا يجد غضاضة في الادعاء بأن القرآن الكريم هو نتاج طبيعي لأحلام اليقظة⁵.

غير أن بيان فساد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، والتشكيك فيها لم يكن حكرا على المسيحيين فقط، فقد كان بعض أصحاب المذاهب الأخرى يُنكرون أيضا النبوة جملة وتفصيلا، ويطعنون في صحتها أمثال أبي بكر محمد بن زكريا الرازي (864-932/925). وهو الأمر الذي دعا

¹ يُقصد بالسارازين العربي أو المسلم للدلالة على أولئك الذين أبعدهم سارة باحتقار. والظاهر أن يوحنا الدمشقي أول كاتب بيزنطي استخدم هذا التشويه الإيمولوجي لأغراض الجدل العنيف وتحفيز الذاكرة. انظر دانييل ساهاس، الشخصية العربية في الجدل المسيحي مع الإسلام، ترجمة جهاد الترك، مجلة الاجتماع، ع 28، 1995، بيروت، ص 126

² الأريوسيون، نسبة إلى أسقف الإسكندرية آريوس، الذي نفى ألوهية المسيح، واعتباره مخلوقا، وأكد على أن الله لا يمكن أن يُولد، لأنه بلا بداية، وبناء على ذلك، فالابن أي الشخص الثاني من الثالوث، مولود فلا يمكن أن يكون إلها بنفس مستوى أو معنى ألوهية الآب، وبالتالي، فالابن لم يتولد من نفس الجوهر الألوهي للآب، ولم يوجد منذ الأزل، بل خلقه الله من لا شيء، كما خلق سائر المخلوقات، فالابن موجود بإرادة الآب ومشيئته، وبكلمة أخرى فإن علاقة الابن بالآب ليست علاقة انبثاق جوهرية أو ولادة حقيقية، بل هي علاقة خالق بمخلوق. سعد رستم، الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم دراسة تاريخية دينية سياسية اجتماعية، الأوائل للنشر والتوزيع، سورية. دمشق، 2005، ص 23-24.

³ النسطوريون، أو النساطرة، مذهب يؤكد على التمايز والفصل بين الطبيعة الإلهية للمسيح والطبيعة البشرية، فالمسيح ليس طبيعتين فحسب، بل أقنومين، أي شخصيتين متميزتين أيضا، وهما شخصية عيسى المسيح الذي كان بشرا، وهذا البشروحده الذي وُلد من مريم العذراء، وبالتالي فمريم هي والدة يسوع، وليست والدة الله، وكذلك هذا البشر هو الذي -حسب اعتقادهم- تألم، وصُلب، ومات على الصليب، وليس الله، لأن الله حي لا يموت. المرجع السابق، ص 27.

⁴ دانييل ساهاس: الشخصية العربية في الجدل المسيحي مع الإسلام، مرجع سابق، ص 124

⁵ المرجع نفسه، ص 128

العلماء المسلمين إلى الاهتمام بجمع حجج النبوة أو علاماتها أو دلائلها. يرى الجاحظ أن السلف أهملوا جمع هذه الحجج، ولم يلتفتوا إليها، مُبديا عدم رضاه عن ذلك الإهمال قائلا: «إن السلف الذين جمعوا القرآن في المصاحف بعد أن كان متفرقا في الصدور، والذين جمعوا الناس على قراءة زيد بعد أن كان غيرها مطلقا غير محظور، والذين حصنوه ومنعوه الزيادة والنقصان، لو كانوا جمعوا علامات النبي صلى الله عليه وسلم وبرهاناته ودلائله وآياته وصنوف بدائعه وأنواع عجائبه في مقامه وظيفته وعند دعائه واحتجاجه في الجمع العظيم وبحضرة العدد الكثير الذين لا يستطيع الشك في خبرهم إلا الغبي الجاهل والعدو المائل، لما استطاع اليوم أن يدفع كونها وصحة مجيئها لا زنديق جاحد ولا دهري معاند ولا متطرف ماجن ولا ضعيف مخدوع ولا حدث مغرور، ولكان مشهورا في عوامنا كشهرة في خواصنا، ولكن استبصار جميع أعياننا في حقهم كاستبصارهم في باطل نصارهم ومجوسهم، ولما وجد الملحد موضع طمع في غبي يستميله وفي حدث يمويه له، ولولا كثرة ضعفائنا مع كثرة الدخلاء فينا الذين نطقوا بألسنتنا واستعانوا بعقولنا على أغبيائنا وأغمارنا لما تكلفنا كشف الظاهر وإظهار البارز والاحتجاج للواضح»¹.

من المهم الإشارة إلى أن هذا العلم الذي يُطلق عليه اسم حجج أو دلائل النبوة، والذي أصبح عنوانا أثيرا للعشرات من المصنفات، يُعنى، على وجه العموم، بإبراز معجزات النبي، والتمييز المبدئي له عن سائر الأنبياء والنبوات، والاهتمام بعرض أدلة أو حجج من داخل "الكتاب المقدس" تنبأت بمجيئه عليه الصلاة والسلام. وإلى جانب هذه المصنفات المتخصصة في حجج أو دلائل النبوة اشتهر العلماء المسلمون أيضا بتناولهم العرضي أو الرئيسي لهذا العلم ضمن كتب التراجم والجغرافيا وتفسير القرآن الكريم والملل والنحل وعلم الكلام. وتشترك مع كتب دلائل النبوة حسب حافا لازاروس يافيه في اقتباس وتفسير فقرات توراتية كإشارة للنبي (محمد صلى الله عليه وسلم) ولظهور الإسلام وللفتوحات الإسلامية ولمكة وللصلاة الإسلامية وللحج². على سبيل المثال لا الحصر فقد أفرد ابن سعد في طبقاته بضع صفحات أورد فيها أخبارا متفرقة تتضمن ذكرا لصفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل³. ورد في أحد هذه الأخبار ما يلي: «أخبرنا معن بن عيسى، أخبرنا معاوية

¹ الجاحظ: رسائل الجاحظ، الرسائل الكلامية، كشف آثار الجاحظ، منشورات مكتبة الهلال، 2002، ص 129

² Hava Lazarus-Yafeh: Medieval Islam and Bible criticism, Princeton University Press, Princeton, New Jersey, 1992 P 81

³ Camilla Adang : Muslim writers on Judaism and the hebrew Bible, E.J.Brill, Leiden, New York, Köln, 1996, p 16

بن صالح عن أبي فروة عن ابن عباس أنه سأل كعب الأحبار: كيف تجد نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة: فقال نجده محمد بن عبد الله، مولده بمكة، ومهاجره إلى طابه، ويكون ملكه بالشأم، ليس بفحاش ولا بصخاب في الأسواق، ولا يكافئ بالسينة، ولكن يعفو ويغفر»¹.

الني محمد صلى الله عليه وسلم في "الكتاب المقدس"

يُعتبر الجاحظ (ت869م) وابن قتيبة (ت889م) وعلي بن ربن الطبري (ولد أواخر أيام أبي جعفر المنصور 136 – 158هـ أو في أوائل خلافة المهدي بالله 158-169هـ) وهو من العلماء المسلمين الأوائل الذين كانت لهم منذ القرن التاسع الميلادي عناية بالبحث عن النبوءات بمقدم الرسول صلى الله عليه وسلم الواردة في "الكتاب المقدس" بعهديه القديم والحديث. فالجاحظ ألف "حجج النبوة"، وابن قتيبة له كتاب بعنوان "دلائل النبوة" ضاع في وقت مبكر، غير أن الاقتباسات المطولة عنه احتفظ بها ابن الجوزي (ت 1201م) في كتابه "الوفا بأحوال المصطفى". أما علي بن ربن الطبري الذين يُدرج ضمن المهتدين إلى الإسلام فقد اشتهر بكتابه "الدين والدولة".

من المعلوم أن البحث عن هذه النبوءات اقترن بالكتاب المقدس الذي لم يكن العلماء المسلمون ينظرون إليه بعين الرضا بسبب ما اعتراه من تغيير وتبديل وتحريف. فما أكثر المرات التي أشار فيها القرآن الكريم إلى ما اعتور التوراة من تحريف: «فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ»² وقال أيضا سبحانه وتعالى: «مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ»³. كيف نُوفق إذن بين المفهوم القرآني لتحريف التوراة والقول في الوقت نفسه بأنها بشرت بمقدم الرسول صلى الله عليه وسلم؟

لابد من الإقرار بأن منطلق العلماء المسلمين كان هو بعض الآيات القرآنية التي تُثبت، بما لا يدع أي مجال للشك، بوجود التبشير بالنبى في كتب اليهود والنصارى، وذلك قبل أن تمتد إليها أيادي التغيير. قال الله سبحانه وتعالى في الذكر الحكيم: «الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ

¹ محمد بن سعد بن ميع الزهري: كتاب الطبقات الكبير، ج 1 (السيرة النبوية)، تحقيق علي محمد عمر، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، 2001، ص 309

² سورة البقرة، الآية 79

³ سورة النساء، الآية 46

مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ»¹، وَ«رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ» إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ»². وَ«إِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ» فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ»³.

يرى علي بن ربن الطبري، متحدثا عن اليهود والنصارى بأنهم « كتموا اسمه وحرفوا رسمه الموجود في كتب أنبيائهم عليهم السلام، ما أنا مظهره ومبيح سره وكاشف ستره حتى يراه القارئ عيانا ويزداد بالإسلام قوة وسرورا»⁴.

ويعتقد أبو الحسن العامري قائلا: ولن يجوز أن تكون ألفاظ البشارة به واقعة فيها على التصريح والإفصاح، لأنها لو وقعت على ذلك لما تبين عند ظهوره منزلة العاقل من الغيبي، ودرجة المجتهد من المقصر. وليس يُشك أنها متى وقعت مرموزة فهي لا محالة تصير معرضة للتأويلات، وكل قول كان عرضة لها فإن مسلك التلبيس فيه، وإيراد اللبس عليه، لن يكون شاقا على الخب الفطن. ونحن نعلم أن الأحزاب والرهابين كانوا سعدوا بالترؤس في الدين.... ولم يكن قد خفي عليهم أنهم مهما اتبعوا الرسول المبعوث فقد اضطربهم الأمر إلى تكليف السعي الجديد لاقتباس المعرفة بشرائعه وأحكامه، وأنهم سيصيرون في تعلمها ذنبا لا رأسا. وتلك مشقة لا تسمح لها النفوس بالهويني، فإن استبقاء الكراسي المحصلة، واستدامة الرياسات المؤتلة، مما يُحرص عليه، وتحريف الألفاظ المرموزة بالتأويلات الفاسدة يكون أهون منه بكثير. فمن هذا الوجه ما تأتي لهم كتمان خبره، وإخفاء نبئه»⁵.

فما هو إذاً منهج العلماء المسلمين في التعامل مع "الكتاب المقدس"؟ وما هي المقاطع أو "الفسوقيم" التوراتية التي رجعوا إليها لإعادة قراءتها؟

¹ سورة الأعراف، الآية 157

² سورة البقرة، الآية 129

³ سورة الصف، الآية 6

⁴ علي بن ربن الطبري: الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، تحقيق عادل نويهض، منشورات دارالآفاق الجديدة، بيروت، 1982 ص 35

⁵ أبو الحسن العامري: الإعلام بمناقب الإسلام، تحقيق أحمد عبد الحميد غراب، منشورات الأصالة للثقافة والنشر والإعلام، الرياض، 1988، ص 202

تعددت الشواهد التي يُفترض أنها تُنبئ بمقدم الرسول عليه السلام. وكانت قراءتها وفق هذا المنظور الإسلامي تقوم على التأويل أو الطريقة الحسابية أو حساب الجُمْل gematria. ونجد لهذه النبوءات حضوراً في الكثير من أسفار العهد القديم، وفي العهد الجديد. سنكتفي بذكر البعض منها.

1- توظيف حساب الجُمْل للإشارة إلى اسم النبي محمد صلى الله عليه وسلم

تميزت كتابات المهتدين إلى الإسلام من العلماء المسلمين بتوظيفهم لحساب الجُمْل في الكثير من الإصحاحات التوراتية للإشارة إلى اسم النبي محمد صلى الله عليه وسلم. والدافع إلى ذلك سببان أحدهما أن "أبجد" في نظر عبد الحق السبتي الإسلامي (ت1238) قاعدة من قواعدهم (أي اليهود)، وعليها مدار دينهم في فرائضهم، وهذا مما لا ينكرونه قط لا بوجه ولا بحال¹. أما السبب الثاني فيمكن حسب السموأل المغربي في أنه جُعِل في هذا الموضع (يقصد كما سنرى سفر التكوين) ملغزا، لأنه لو صرح به، لبدلته اليهود، أو أسقطته من التوراة، كما عملوا في غير ذلك².

«وَأَمَّا إِسْمَاعِيلُ فَقَدْ سَمِعْتُ لَكَ فِيهِ. هَا أَنَا أَبَارِكُهُ وَأَثْمَرُهُ وَأَكْثَرُهُ كَثِيرًا جِدًّا. اثْنَيْ عَشَرَ رَيْسًا يَلِدُ وَأَجْعَلُهُ أُمَّةً كَبِيرَةً».³

לִּי מַעְאֵל, מֵעַ יְדֹהֶה רַב. י אֶתּוֹ וְהִפְרִיתִי אֶתּוֹ וְהָרַ יְתִי אֶתּוֹ, מֵאֵד מֵאֵד: יִם-עַר
 נַ יֵּאֵם יוֹלִיד, נַת יוֹ לְגוֹי דּוֹל

جاء في كتاب السماوأل المغربي أن الله قال في الجزء الثالث من السفرالأول من التوراة، مخاطباً لإبراهيم الخليل، عليه السلام: وأما في إسماعيل فقد قبلت دعاءك، ها قد باركت فيه، وأثمره وأكثره جدا جدا. ذلك قوله: «وليشماعيل شمعتيخا هنى بيراختي أوتوهربיתי أوتو بماذمأد».

فهذه الكلمة " بماذمأد" (TAN TAN) إذا عددنا حساب حروفها بالجُمْل، كان اثنين وتسعين، وذلك عدد حساب حروف اسم محمد، فإنه أيضا اثنان وتسعون...وإذا كانت هذه أعظم الآيات

¹ أبو محمد عبد الحق الإسلامي: رسالتان في الرد على اليهود، تحقيق عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001، ص 35

² السموأل بن يحيى المغربي: غاية المقصود في الرد على النصارى واليهود، تحقيق إمام حنفي سيد عبد الله، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2006، ص 54

3 سفر التكوين 20:17

مبالغة في حق إسماعيل وأولاده، وكانت تلك الكلمة أعظم مبالغة من باقي كلمات تلك الآية، فلا عجب أن تضمن الإشارة إلى أجل أولاد إسماعيل شرفاً وأعظمه قدراً محمد»¹.
 يقتفي عبد الحق السبتي الإسلامي خطى السموأل المغربي قائلاً: «يتبين أن الله سبحانه وتعالى بشر أبانا إبراهيم عليه السلام بأن من ابن هاجر وهو: إسماعيل يخرج محمد صلى الله عليه وسلم والنص عندهم في ذلك: وليشمعيل شمعتيخ ببني رحمتي أوثو ومريشي أو بماد هينيم علسر نسيم يولد ونئين تجوي جدول. ودعوتك لإسماعيل مقبولة فأبارك فيه وأكبره وأنميّه، وأخرج منه محمداً ويدل على اسم محمد صلى الله عليه وسلم قوله "بم ماد" (מַדְמָא). لأن عدده اثنان وتسعون ومحمد كذلك، وهذا مما يدل أنه صلى الله عليه وسلم موجود في كتبهم، وهم ينكرونه»².

إشكالية كلمة "شيلون" في سفر التكوين 10:49

أثارت كلمة "شيلون" التي وردت في سفر التكوين جدلاً كبيراً بين العلماء بشأن المعنى الصحيح الذي تدل عليه، فتباينت آراؤهم³، خاصة أن سياقها داخل الجملة لا يُسعف القارئ في تحديد المقصود بها. جاء في سفر التكوين: «لَا يَزُولُ قَضِيبٌ مِنْ يَهُوذَا وَمُشْتَرَعٌ مِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ حَتَّى يَأْتِيَ شِيلُونُ وَلَهُ يَكُونُ خُضُوعٌ شُعُوبٍ»⁴. «לֹא-יָסֵר בֶּטֶן מִיָּה דָהָ, מִחֻקֵּם מִיָּן רִגְלָיו, עַד יֵ-יָבֵא . יְלָה, יְלָזָ בְּ הָת לָ יִם». ما المقصود إذا بشيلون؟ ومن هو المعنى بقوله يكون خضوع شعوب؟

يقول تقي الدين الجعفري: «قالت التوراة لما حضرت إسرائيل الوفاة وهو بمصر عند يوسف، دعا أولاده فحضرُوا بين يديه. فباركهم واحداً واحداً، ودعا لهم. ولما انتهت النوبة إلى ابنه يهوذا قال

¹ السموأل المغربي، المرجع نفسه، ص 55

² أبو محمد عبد الحق الإسلامي، المرجع نفسه، ص 36

³ Voir Saïd Gafaïti, La traduction de la Bible entre commentaire et interprétation à travers la bénédiction de Juda par Jacob (La genèse 49M 10), Actes du colloque international 18 et 19 Avril 2012, sous la direction de Hamid Guessous, publication de la faculté des lettres, Saïs, Fès, 2014.

⁴ سفر التكوين 10:49

فيه: لا يعدم سبط يهوذا ملكا مسلطا وأفخاذه نبيا مرسلا، حتى يأتي الذي له الكل. وإنما عني بذلك رسول الله»¹.

يقول الإمام القرافي: «قالت التوراة، لما حضرت إسرائيل الوفاة بمصر عند يوسف عليه السلام دعا أولاده صلوات الله عليهم أجمعين بين يديهم فباركهم واحدا واحدا، ودعا لهم، ولما انتهت النبوة إلى يهوذا قال فيه: لا يعدم سبط يهوذا ملكا مسلطا وأفخاذه بنو إسرائيل حتى يأتي الذي له الكل، ولم يأت من بعد للكل إلا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيكون هو المراد صونا لكلام يعقوب عليه السلام من الخلل»².

إذا كان العلماء المسلمون متفقين على أن المبعث هو النبي محمد صلى الله عليه وسلم فإن عبد الأحد داود، وهو من المهتدين المحدثين إلى الإسلام، لا يختلف معهم في هذا الرأي، غير أنه يتوقف مُطولا عند كلمة «לֵא (شيلون)، متناولا إيها من جوانب شتى. لكن ما هو جدير بالملاحظة أن كل الترجمات المحتملة، وبصرف النظر عن تباينها، تؤكد نبوة النبي محمد عليه الصلاة والسلام. «فالترجمة السريانية تترجم «לֵא بالشخص الذي يخصه، وهذا يعني عمليا صاحب الصولجان والشرعية أو الذي يمتلك السلطة وحق التشريع وتخضع له الشعوب. وبعد أن استبعد أحمد داود النبي موسى والنبي داود والنبي عيسى خلص إلى ما يلي: جاء محمد صلى الله عليه وسلم بالقوة العسكرية والقرآن يحل محل الصولجان اليهودي القديم البالي والشرعية القديمة غير العملية، التي تقوم على التضحيات والرهينة الفاسدة»³.

بخصوص الاحتمال الثاني فإن الكلمة يُمكن أن تُشتق من الفعل شله shalah ويكون لها معنى المسالم الهادئ الأمين. ويعلق عبد الأحد داود قائلا إن النبي قبل دعوته إلى الرسالة كان كثير الهدوء والمسالمة ومحلا للثقة وذا شخصية تأملية وجذابة. وكان أهل مكة يسمونه محمد الأمين⁴. أما بالنسبة للاحتمال الثالث فمن الممكن أن تكون الكلمة تحريفا لشلواه، وفي هذه الحالة فإنه يتطابق مع اللقب العربي للنبي، والذي يتكرر كثيرا في القرآن وهو الرسول⁵.

¹ تقي الدين الجعفري: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، دراسة وتقديم خالد محمد عبده، مكتبة النافذة، 2006
الجزء، ص 379

² الإمام القرافي: الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة، مكتبة النافذة، الجزء، 2006، ص 254

³ عبد الأحد داود: محمد في الكتاب المقدس، ترجمة فهد شما، دار الكتب القطرية، الدوحة، 1984، ص 82

⁴ عبد الأحد داود، ص 82

⁵ عبد الأحد داود، ص 83

2- تحديد نبي من إخوتكم في سفر التثنية 18: 15-18

إن المتتبع لسفر التثنية (18: 15-18) لن تفوته ملاحظة الجملة الآتية: "نبيا من بين إخوتهم" المحفوفة بكثير من الغموض. إذ نجد في الترجمة العربية ما يلي: « سَيُقِيمُ الرَّبُّ فِيكُمْ نَبِيًّا مِثْلِي مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، لَهُ تَسْمَعُونَ، فَقَدْ اسْتَجَابَ الرَّبُّ إِلَهُكُمْ مَا طَلَبْتُمْ مِنْهُ فِي حُورِيبَ فِي يَوْمِ اجْتِمَاعِ عِنْدَمَا قُلْتُمْ: لَا نَعُوذُ نَسْمَعُ صَوْتَ الرَّبِّ إِلَهِنَا، وَلَا نَرَى النَّارَ الْعَظِيمَةَ أَيْضًا لِئَلَّا نَمُوتَ فَقَالَ لِي الرَّبُّ: لَقَدْ أَصَابُوا فِي مَا تَكَلَّمُوا. هَذَا أَقِيمُ لَهُمْ نَبِيًّا مِنْ بَيْنِ إِخْوَتِهِمْ مِثْلَكَ، وَأَضَعُ كَلَامِي فِي فَمِهِ، فَيَخَاطِبُهُمْ بِكَلِّ مَا أَمَرُهُ بِهِ »¹.

النص العبري:

« **נָבִיא מִבְּנֵי יִשְׂרָאֵל יִקְרָא אֶתְּכֶם מִן־הַיּוֹם הַזֶּה כִּי יָקִים לָךְ יְהוָה אֱלֹהֶיךָ: אִלּוּן . . . מֵעַן . . . כָּל אֶחָד־מֵהַ . . . לֹא יִשְׁמָעוּ אֶת־קוֹל יְהוָה אֱלֹהֵי וְאֶת־הָאֱלֹהִים הַזֵּה הַדֹּלָה הַזֶּה אֶת־לֹא־אֶרְאָה עוֹד، וְלֹא מִתּוֹ אֶמַר יְהוָה، אֵלַי: הִיטִיב . . . אֶחָד־מֵהַ . . . נָבִיא קִים לָהֶם מִן־רֵב אֲחֵיהֶם، מוֹד; וְנָתַן יְדְבָרֵי . . . כִּי יִדְבֹּר אֵלֵיהֶם אֶת־לֹא־אֶחָד־מֵהַ . . . ».**

إن السؤال المطروح هو كيف فسر العلماء المسلمون المقطع الآتي: نبيا من بين إخوتهم؟ وما هي حججهم للتأكيد بأن المُبشِّر به هنا هو النبي محمد صلى الله عليه وسلم؟
يقول علي بن ربن الطبري: « فالنبوة الخامسة الدالة عليه المشيرة إلى نبوته وحقه قول موسى عليه السلام في الفصل الحادي عشر من التوراة من السفر الخامس، وهو الأخير لبني إسرائيل: أن الرب ألهمهم يقيم نبيا مثلي من بينكم ومن إخوتكم فاسمعوا له² ». ويعلق قائلا بعد ذلك: « ولم يقم الله نبيا من بني إخوة بني إسرائيل إلا محمدا عليه السلام، وقوله من بينهم تأكيداً وتحديداً أنه من ولد أبيهم لا من ولد عمومته، فأما المسيح عليه السلام وسائر الأنبياء صلى الله عليهم فإنهم كانوا منهم أنفسهم³ ». ويستمر علي بن ربن الطبري في الإدلاء بالحجج الواحدة تلو الأخرى مقوضا الرؤيتين اليهودية والمسيحية معا. وقد أظهر حرصا شديدا في التوثيق، وإن كان النص التوراتي عنده، لا يخلو مع ذلك من مسحة مسيحية واضحة للعيان.

¹ سفر التثنية 18: 15-18

² علي بن ربن الطبري، الدين والدولة، ص 137

³ المرجع نفسه، ص 137-138

وينهج السموأل بن يحيى المغربي (ت 570هـ) المسلك نفسه الذي اتبعه علي بن ربن الطبري في كتابه "غاية المقصود في الرد على النصارى واليهود": «إنهم لا يقدرّون (موجبها الحديث إلى اليهود) على أن يجحدوا هذه الآية من الجزء الثاني من السفر الخامس من التوراة. «نابي أقيم لا هيم مقارب أحيم كاموخا ايلا وتشماعون».. تفسيره: «نبيا أقيم لهم من وسط إخوتهم مثلك به، فليؤمنوا». وإنما أشار بهذا إلى أنهم يؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم»¹. ويقف السموأل عند كلمة "إخوتكم" متأملاً معناها، مستثنياً أن يكون المقصود بها بني إسرائيل كما يزعم علماء اليهودية. ولدحض هذه الفكرة يدعّوهم للعودة إلى «إخوتكم بني العيص» التي وردت في سفر التثنية 2:4 ويستنتج قائلاً: «فإذا كان بنو العيص إخوة لبني إسرائيل، لأن العيص وإسرائيل ولدا إسحاق، فكذلك بنو إسماعيل إخوة لجميع ولد إبراهيم»².

يستمر بعد ذلك في محاجة علماء اليهودية من داخل النص التوراتي، مستفيداً في ذلك من ثقافته الدينية الربية وعلمه بالتوراة. غير أننا حينما نتفحص عن قرب النص التوراتي، كما أثبتته بلغته الأصلية (أي اللغة العبرية)، وإن كان مدونا بحروف عربية، فإننا نلاحظ بأن «نابي أقيم لا هيم مقارب أحيم كاموخا ايلا وتشماعون» جزء منه: «نابي أقيم لا هيم مقارب أحيم كاموخا». وبالحرف العبري: «נָבִיא קִים לָהֶם מִן בְּנֵי אֶחָיוֹם, מִן מִדְּבָר» موجود سفر التثنية 15: 18 أما «ايلا وتشماعون» وبالحرف العبري: «אֵילָא, . . מִדְּבָר» فمجتزأ من سفر التثنية 15: 16. مما يعني أن اضطراباً واضحاً قد وقع في نقل النصوص. سيكون من السابق لأوانه التعجيل بإصدار حكم ما لأن تحقيق مثل هذه الكتب لم يتم حتى الآن على يد متخصصين في مقارنة الأديان ومتفقيين في اللغة العبرية وفي الساميات. ولنا أن نتساءل عما إذا كان صحيحاً الاطمئنان إلى ترجمة جملة «ايلا وتشماعون» بما يلي: «فليؤمنوا».

إذا ما انتقلنا إلى كتاب "رسالتان في الرد على اليهود" يطالعنا أبو محمد عبد الحق الإسلامي بقوله بشأن جملة "نبي من إخوتكم": «أن موسى عليه السلام، قال لبني إسرائيل: احضروا بالكمريسياتي في آخر الزمان نبي اسمه مقارن لاسم ربه فاتبعوه واسمعوا منه وأطيعوه والنص في ذلك: «نبيء مقروبخ مياميخ كموني يقيم لمخ أذني آلوهيخ إلو تسمعون» شرحه: نبي من قرابة

¹ السموأل بن يحيى المغربي: غاية المقصود في الرد على النصارى واليهود، تحقيق إمام حنفي سيد عبد الله، دار الآفاق العربية، بيروت، 2006، ص 52-53

² المرجع نفسه، ص 53

إخوانكم مثلي يبعثه الله ربكم منه تسمعون»¹. وبالحرف العبري: «בְּיָמַי יִבְרָא מִן הַיָּמִים חַיִּים, יְקִים לָךְ יְהוָה אֱלֹהֶיךָ: אֵלֶיךָ, . . . מַלְאֵךְ».

وإذا كان أبو محمد عبد الحق الإسلامي قد تحرى الدقة في توثيق هذا النص. إلا أن مقابلة النص كما أثبتته في كتابه هذا بالنص العبري يدفعنا إلى القول إنه أورد كلمة "مياميخ" عوض مآخيا «יִמִּי חַיִּים». غير أننا ندري من المسؤول عن هذا التصحيف: هل المؤلف نفسه أو المحقق الذي غامر في تحقيق هذا النص دون أن يكون مزودا بالأدوات الكافية لمباشرة عمله لا سيما وأن الموضوع كله ها هنا يتوقف على شرح وتأويل كلمة «יִמִּי חַיִּים». وقد أبدى أبو محمد عبد الحق الإسلامي في المقابل حرصا على عدم النطق بكلمة يهوه مستخدما أدوناي. أما الصيغة العربية للنص العبري فهي أبعد ما تكون عن الترجمة الحرفية.

أما عبد الأحد داود في تفسيره لجملة نبيا من إخوانكم فيقول: « وأقيم لهم نبيا من وسط إخوانهم مثلك، واجعل كلامي في فمه». فإذا كانت هذه الكلمات لا تنطبق على «محمد» فإنها تبقى غير متحققة ولا نافذة، فالمسيح نفسه لم يدع أبدا أنه النبي المشار إليه. حتى أن حواريه كانوا على نفس الرأي، وأنهم يتطلعون إلى عودة المسيح مرة ثانية لكي تتحقق النبوءة. وحتى الآن فإنه من الثابت غير المنقوص بأن الظهور الأول للمسيح لم يكن ليبدل على ما جاء في الجملة «أقيم لهم نبيا مثلك»، وكذلك فإن عودة المسيح مرة ثانية، لا تكاد تحمل معنى هذه الكلمات... وإن المسيح، كما تؤمن به كنيسته، سوف يظهر كقاض وليس كمقدم للتشريع، بينما «الموعود» هو الذي يجي حاملا «الشريعة النارية المشعة بيده اليمنى»².

¹ أبو محمد عبد الحق الإسلامي: رسالتان في الرد على اليهود، تحقيق عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001، ص 43

² عبد الأحد داود، محمد في الكتاب المقدس، ص 31

المقصود بفاران في سفر التثنية 2:33

لقد ذكر موقع فاران في سفر التكوين 21: 21 بوصفه المكان الذي لجأت إليه هاجر مع ابنها إسماعيل، بعد أن طردها سارة زوج إبراهيم عليه السلام، وورد كذلك في سفر التثنية عند الحديث عن مباركة موسى عليه السلام لأسباط إسرائيل: « فقال: جَاءَ الرَّبُّ مِنْ سَيْنَاءَ وَأَشْرَقَ لَهُمْ مِنْ سَعِيرٍ وَتَلَّأً لَ مِنْ جَبَلِ فَارَانَ وَأَتَى مِنْ رِبَوَاتِ الْقُدُسِ وَعَنْ يَمِينِهِ نَارُ شَرِيعَةٍ لَهُمْ»¹. « וַאֲמַר, יְהוָה מִי יֵי אֶזְרָח מִי לְמוֹ--הַזֵּכִיר מִהֵרָ אֶרֶן, וְ תָה מִרְבֵּית קֵד ; מִימִינִי, אֲשַׁדֵּת (אֶ ת) לְמוֹ».

جاءت ترجمة هذا الإصحاح عند علي بن ربن الطبري على الشكل الآتي: «إن الرب جاء من طور سينين وطلع لنا من ساعير وظهر من جبل فاران، ومعه عن يمينه ربوات القديسين» ويؤكد قائلا: «ففاران هي البلدة التي سكنها إسماعيل عليه السلام، ولذلك قدم الله ذكرها في التوراة في قوله: فكان يتعلم الرمي في بركة فاران. وقد علم الناس كلهم أن إسماعيل سكن مكة، فولده وأعقابه فيها وفيما حولها يعرفون مأوى جدهم ولا يجهلون بلده ووطنه. وقد طلع الرب من فاران، فإن لم يكن كما ذكرنا فليوجدونا ربا ظهر من جبل فاران، ولن يفعلوا. فأما اسم الرب هاهنا فإنه يقع على النبي صلى الله عليه وسلم وهي كلمة مستعملة من العرب والعجم في الله عز وجل، وفي عباد. كقولك رب البيت، وقول السريانيين لمن أرادوا تفخيمه مارأي يا ربي ويا سيدي ومار بالسريانية هو الرب»².

انطلاقاً من هذا الإصحاح: «إن الله من سيناء تجلى، وأشرق نوره من سيعير، واطلع من جبال فاران، ومع ربوات القديسين»³، يُعلق مفسر: «وهم يعلمون أن جبل سيعير هو جبل الشراة الذي فيه بنو العيص، الذين آمنوا ببعيسى، عليه السلام... وهم يعلمون أن سيناء هو جبل الطور،

¹ سفر التثنية 2:33

² علي بن ربن الطبري، محمد في الكتاب المقدس، ص 138-139

³ ربوات القديسين: توجد تفسيرات مختلفة وترجمات متعددة لهذه العبارة، في الترجمة السبعينية: «ومعه ربوة من أطهار الملائكة». وفي ترجمة الآباء اليسوعيين: «وأتى من ربي القدس». وفي ترجمة عام 1622م: «وجاء مع ربوات القدس» علماً بأن استخدام كلمة ربوات في العهد القديم تكرر بمعنى: ألوف أو جماعات كثيرة من الناس، منامات السموات ويليها بادل المجهود في إفحام اليهود شموائل بن يهوذا، تحقيق: د. منذر الحايك، دار صفحات للنشر، دمشق، 2014، ص 117

لكنهم لا يعلمون أن جبل فاران هو جبل مكة... فأما الدليل الواضح من التوراة على أن جبل فاران هو جبل مكة، فهو أن إسماعيل لما فارق أباه الخليل، عليه السلام سكن إسماعيل في بركة فاران، ونطقت التوراة بذلك في قوله ويسب بمذبار فاران وتقاح لو أمو شيائما يرض مصرام. وهو ما يترجم بما يلي: وأقام في بركة فاران، وأنكحته أمه امرأة من أرض مصر. فقد ثبت من التوراة أن جبل فاران مسكن لآل إسماعيل»¹.

يتكرر الحديث عن فاران عند تقي الدين الجعفري الذي يذكر هو بدوره أن «التوراة قالت في الفصل العشرين من السفر الخامس: قال موسى: أقبل الله من سيناء، وتجلي من ساعير، وظهر من جبال فاران، معه ربوات الأطهار عن يمينه». وقد علق مبينا أن «فاران جبل بني هاشم الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحنث فيه ويتعبد. وقد خصت التوراة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بزيادة على موسى وعيسى، فقالت معه ربوات الأطهار عن يمينه وذلك كناية عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم... كما قال فولس مفسرهم إن جبل فاران متصلا ببلاد أرابيا يريد بلاد العرب»².

وإلى هذا المعنى يذهب أبو الحسن العامري مؤكدا بأن «فاران وإن كان اسما للجبل الممتد بين الشام وبادية العرب، فإن الحجازي المخصوصة بهذا الاسم. والدليل عليه ما وجد في التوراة في قصة إسماعيل أنه كان يتعلم الرمي في بركة فاران. وقد علم أن منشأه لم يكن قط إلا أرض الحجاز»³.

خلاصة

جملة القول إن البحث في موضوع التبشير بمجيء النبي صلى الله عليه وسلم في "الكتاب المقدس" لا يعكس فقط موقفا دفاعيا للعلماء المسلمين في وجه من شككوا في صحة القرآن الكريم، وطعنوا في نبوة الرسول عليه الصلاة والسلام، وإنما يوجي للمتعمق فيما ورد في القرآن الكريم من أخبار متفرقة عن التحريف الذي لحق التوراة والإنجيل أن هناك حلقة مفقودة أو شبه مفقودة من التاريخ القديم لا نعرف عنها إلا الشيء القليل. وما كشفه لنا علم نقد الكتاب المقدس في العصر

¹ السموّل المغربي مرجع سابق، ص 56

² تقي الدين الجعفري، تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، ص 377

³ أبو الحسن العامري، الإعلام بمناقب الإسلام، تحقيق أحمد عبد الحميد غراب، مؤسسة دار الأصاله للثقافة والنشر والإعلام، الرياض، ص 205

الحاضر من معارف عن الأسفار القانونية والأسفار المنحولة أو المخفية، وغير ذلك من القضايا المتشابكة مؤشراً على أن الحقيقة التي أعلن عنها القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرناً في طريقها لكي تكون خبراً مقبولاً حتى من قبل أولئك الذين لا يؤمنون بالإسلام.

المصادر والمراجع (بالعربية)

القرآن الكريم

الكتاب المقدس،

1. ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن: الوفا بأحوال المصطفى، تحقيق محمد زهري النجار، المؤسسة السعيدية، الرياض، د.ت
2. ابن تيمية الحراني: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، دار ابن حزم، بيروت، 2008
3. أبو محمد عبد الحق الإسلامي: رسالتان في الرد على اليهود، تحقيق عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001
4. الأصفهاني، أبو نعيم: دلائل النبوة، تحقيق محمد رولس قلعة جي و عبد البر عباس، دار النفائس، بيروت، 1986
5. الإمام القرافي: الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة، مكتبة النافذة، الجيزة، 2006
6. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: رسائل الجاحظ، الرسائل الكلامية، كشف آثار الجاحظ، منشورات مكتبة الهلال، 2002
7. الجعفري، تقي الدين: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، دراسة وتقديم خالد محمد عبده، مكتبة النافذة، 2006 الجيزة
8. الزهري، محمد بن سعد بن منيع: كتاب الطبقات الكبير، ج 1 (السيرة النبوية)، تحقيق علي محمد عمر، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، 2001
9. السموأل بن يحيى المغربي: غاية المقصود في الرد على النصارى واليهود، تحقيق إمام حنفي سيد عبد الله، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2006
10. السموأل بن يحيى المغربي: منامات السموأل ويلييه بذل المجهود في إفحام اليهود شموائيل بن يهوذا، تحقيق: د. منذر الحايك، دار صفحات للنشر، دمشق، 2014
11. الطبري، علي بن ربن: الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، تحقيق عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1982
12. العامري، أبو الحسن: الإعلام بمناقب الإسلام، تحقيق أحمد عبد الحميد غراب، منشورات الأصاله للثقافة والنشر والإعلام، الرياض، 1988

13. عبد الأحد داود: محمد في الكتاب المقدس، ترجمة فهي سما، دار الكتب القطرية، الدوحة، 1984

بلغات أخرى

Adang, Camilla : **Muslim writers on Judaism and the hebrew Bible**, E.J.Brill, Leiden, New York, Köln, 1996.

Gafaïti, Saïd : La traduction de la Bible entre commentaire et interprétation à travers la bénédiction de Juda par Jacob (La genèse 49M 10), **Actes du colloque international 18 et 19 Avril 2012**, sous la direction de Hamid Guessous, publication de la faculté des lettres, Saïs, Fès, 2014.

Lazarus-Yafeh, Hava: **Medieval Islam and Bible criticism**, Princeton University Press, Princeton, New Jersey, 1992